العنوان الثامن

الرؤية

تُعد كلمة الرؤية من أكثر الكلمات دوراناً، على ألسنة من يُعنى بشؤون الاعتماد الأكاديمي، والجودة، وعلى الرغم من وضوح دلالتها، من حيث هي، إلا أنها في سياقها الأكاديمي تأخذ بُعداً آخر، وقد تتعدد وجهات النظر في التعبير عنها، وفي توصيفها.

جاء في تعريفها قولهم: الرؤية النظر إلى المستقبل بعين العقل، وقيل هي خيال يراد تطبيقه على أرض الواقع، في العادة الثامنة هي حقيقة، لم تتجسد بعد على أرض الواقع، كأنها مخطط لمنزل قبل بنائه[1].

قالوا أيضاً هي كيف تصبح في المستقبل، مقارنةً بما أنت عليه الآن، وقيل هي كيف تريد أن تكون حالك غداً، مقارنةً، بما أنت عليه اليوم.

(١) ستيفن كوفي، *العادة الثامنة*، مؤسسة فرانكلين، ص ٢١١

قال بعضهم هي التفكير الجدي في عمل المزيد من الخير مستقبلاً، قال ابن عباس: التفكر بالخير يدعو إلى النص عليه، والعمل به.

وقيل كذلك في تعريفها إنها تجاوز القناعة، بعد النظر في الإمكانات المتاحة، وقالوا الرؤية هي الذهاب إلى أبعد من الحدود المرئية.

آثرت هذا السرد، على ما فيه من ملالة، وربما ملامة أيضاً، بغيةَ أن تقفز إلى ذهن القارئ دلالات، تقذف بها هذه العبارات، ليست خافيةً، مثل طلب الأجود، التغير إلى الأحسن، زيادة دائرة النماء، والعطاء، والقيادة، والريادة، والتميز، والسبق إلى المقعد الأول.

إن من يُعنى بالرؤية، ويسعى للتنظير لها، حول هذه المعاني يدندن، ولن يجد من ينازعه في هذا، بيد أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، فثمة أسس، ومعالم، وأبعاد ذات صلة بالرؤية يتعذر تجاهلها، نعرض لها بما يتسع له المقام، ويُسعف به المقال.

تُعد الرؤية علامةً فارقةً تميز المؤسسة التعليمية عن مثيلاتها، حتى رأى بعضهم، أنها كالاسم، والصفة للذات، ولعل هذا سر تقدمها على غيرها من المفردات، ذات الصلة بالجودة، من حيث الترتيب، حتى غدت كأنها العنوان للمؤسسة.

يأذن هذا الفهم بالقول إن الرؤية أمر حيوي، تكشف عن علة وجود المؤسسة، وسبب بقائها، حتى قيل إن الرؤية ضرورية، لأجل بقاء المؤسسة، قبل أي شيء آخر.

لا أحسب أن ثمة مبالغة تذكر في هذا الرأي، فإن الرؤية تتحدث عن البعد المستقبلي المتمثل في التطور والتجويد، بغية مسايرة متطلبات العصر ومستجداته، وهذا عامل بقاء المؤسسات، وسر الالتفات إليها، أياً كان نشاطها، بخاصة حين تكثر مثيلاتها، وتزاحمها على المواقع.

تنطلق الرؤية من مرتكزات، أولها تحليل صادق للواقع، يسبقه تخطيط منضبط للمستقبل، وهو مضمون ما يقال في تعريف الرؤية، اختصاراً، وتوضيحاً، إنها طموح يزينه وضوح، تضبطه واقعية.

يتضمن هذا التساؤل، – من أنت اليوم؟ وماذا ستكون غداً؟ – التزامات متعددة، تستدعي مشاركة منسوبي المؤسسة جميعهم في وضع معالمها، لأنها رؤية جماعية، لا يحق لفرد، أو أفراد مهما أوتوا أن ينفردوا بها.

حين تكون الرؤية عملاً جماعياً، يضمن إلى حد بعيد عدم الجهل بها، أو فرضها على طائفة، وهذا يضيِّق باب التنصل منها، والهروب من التزاماتها، لمن تحدثه نفسه بهذا.

لا تكون الرؤية رؤيةً، مالم تتسم بالوضوح التام، ضماناً لفهمها، من قِبل كل من يعنيهم أمرها، مهما كانت خلفياتهم، وقد يقتضي هذا المطلب القيام بشرحها، ومناقشتها، والتحاور بشأنها، مع منسوبي المؤسسة، بالطرق المناسبة.

يزداد الحذر، ويشتد الاحتراز حين تتأكد ضرورة الجمع بين الوضوح، والإيجاز، فالأصل أن لا تتجاوز عبارات الرؤية في كلماتها عدد أصابع اليدين، وأن تتضمن عدة تطلعات مركزية، وأساسية.

إن المعالم التي نؤكد عليها، وعلى أهمية وجودها في الرؤية، مثل الوضوح، والفهم، ووجوب مشاركة الجميع، ليست ترفاً، وإنما هي أمور لازمة، لأن التحدي الأكبر يكمن في تطبيق الرؤية، وتحويلها إلى واقع، وممارسة.

يندرج تحت الرؤية مجموعة من المفردات العملية، مثل بذل الجهد، وتحقيق التميز والإبداع، والالتزام بالمعايير، والسبق، والريادة، والقيادة.

يسهل على المؤسسة، أياً كانت أن تضع لها رؤيةً، خاصةً بها، حين تستحضر ما ذكرناه من دلالات، ومعالم، وإطار عام للرؤية من حيث هي رؤية، تجمع بين التحليق، وإمكانية التحقيق.

إن لجان الاعتماد تلتفت دائماً إلى الرؤية، وتقوّم كثيراً من الأعمال من خلال مضامينها، مستندة إلى مقولة من فمك أدينك.